إدغام الأحرف في الضّاد

يُعَرَّفُ الإدغام بأنّه إدخال حرف في حرف، وفناؤه فيه، ونُطْقُ الثّاني مُشَدّداً، فيُغني تشديده عن النُّطق بحرفين مُفردَين؛ إذ يَرتَفِعُ اللّسان بهما دفعة واحدة، ثم ينحطُّ على آخر المُدْغَم فيه، وفي ذلك تخفيف من العبْء بحركة اللّسان عن حركتين في حرفين اثنين، وفي سبيل ذلك ذَكَرَ العُلماءُ أسباباً للإدغام[٨٣] وصوراً منه، وما يَمْنَعُ من تحقيق ذلك، وهو ممّا لسنا بسبيله؛ إذ أدخل في حديثي عن إدغام الأحرف في الضّاد مباشرة من غير بَسْط القول في هذه المقدّمات التي رُبّما كانت من المُسَلّمات عند المختصّين.

وأذكر فيما يأتي حالات إدغام الأحرف في الضّاد:

١ - إدغام التاء في الضّاد:

ذَكَرَ المُتَقدّمون أنّ التّاء تُدْغَم في الضّاد، والعِلّة في جواز ذلك عندَهم أنّ في الضّاد استطالة تَتّصِلُ بِمَخْرَجِ حروفِ طَرَفِ اللّسان، والتّاء مَخْرَجها من هذا الطَّرَف، ولذا صَحّ الإدغام[٨٤].

ومِنَ الأَمثلة التي تتكرّرُ عند الصرفيين ويأخذها اللّاحق عن السّابق قولُهم: انعت ضَرَمة[٨٥].

وقال سيبويه[٨٦]: «وسمعنا من يُوْثَقُ بعربيَّتِهِ قال:

ثار فضجّت ضَجَة ركائبه

فأدغم التّاء في الضّاد».

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن يعيش[٨٧]: «شَدّت ضّفائرها»، وهو ما تَبِعَ فيه نَصّ الزَّمَخْشَري.

وذَكَرَ الرَّضيّ[٨٨] صورة من الإدغام جاء فيها التّاء والضّاد في كلمة واحدة، وكان مثالاه: «اضّاربوا، واضّرَع»، وذكر أن أصلهما: تفاعل وتفعّل.

وما ذهب إليه يقتضي أن يكون أصل الأول: تضاربوا، والثاني: تضرّع، فأدغمت التاء في الضّاد فيهما، ثم زيدت همزة الوصل بسبب السكون الطارئ في الأوّل، حيث وَقَع إدغامه فيما بعده. وذَكَر أنّه إدغام مُطّرد.

٢ - إدغام التّاء المُثَلَّثة في الضّاد:

بَقِيَ المُلماءُ هنا مُحافظين على لَفْظِ «ضَرَمة» الذي تقدَّم في الحالة الأُولى، وهي إدغام التّاء في الضّاد. وكان مثالهم[٨٩]: ابعث ضَّرَمة

ولاحظتُ أنّ ابن يعيش حاوَلَ الخُروجَ مرّات عِدَّة على أمثلة الصرفيين المُكَرّرة، فجاء مثاله هنا أيضاً[٩٠]: لَمْ يَلْبث ضّارباً، وهو في هذا تابعٌ للزمخشري، ولم أجد هنا تعليلاً لجواز هذا الإدغام كالذي صَرّحوا به من قبل، ولعلّ العِلّة المُجيزة لذلك هي هي، فقد ذَكَروا استطالة حرف الضّاد حتى يبلغ مَخرج «التّاء»[٩١].

وقد أغفلوا بذلك جوامع أُخَر بين الحرفين تفضي إلى وقوع الإدغام، نأتي على ذِكْرها في مناقشة آرائهم بالتّحليل والتّعليل.

٣ - إدغام الدّال في الضّاد[٩٢]:

وفي إدغام الدّال في الضّاد حافظ الصّرفيّون على لَفْظِ «ضَرَمة»، وغَيّروا الفِعْلَ مَعها فقالوا[٩٣]: أَبْعِد ضَّرَمة.

وكما جَرَت العادة من قبل عند ابن يعيش فإنّه أتى بمثال مُغاير لِمَن سبقه فقال[٩٤]: زادْ ضّحكاً، وكان في هذا تابعاً للزّمَخْشري في مُفَصّله.

والدّال صوت أسناني لثويّ شديد مجهور مرقّق، وهم يقولون في عِلّة ذلك أنّ الضّاد استطال إلى الأسنان فالتقى مخرجٌ بمخرج، فصَحّ الإدغام.

ونقول في أمر الجوامع الأُخَر بينهما مِثْلَ مقالتنا من قبل في شأن التّاء والضّاد.

٤ - إدغام الدّال في الضّاد:

ومِمّا ذَكره العُلماء مثالاً لإدغام الدّال في الضّاد قولهم: انبذ ضَّرَمة[٩٥]، خُذ ضّرمة[٩٦]، وصورته عند سيبويه: خُضَّرَمة، وغير ابن يعيش المِثال فقال[٩٧]: انبذ ضّاربك.

والدّال صوت أسناني رخو مجهور مُرَقّق، فهو قريبٌ من مَخْرَج الضّاد، وهذا ما سَهّل إدغام الأوّل في الثّاني.

٥ - إدغام الطّاء في الضّاد:

هذان حرفان مُطْبَقان، والفَرْقُ بينهما أنّ الطّاء مهموس مُطْبَق في تصنيف المُتَقَدّمين، والضّاد مجهور مُطْبَق، وكلاهما من طرف اللّسان، بيدَ أنّهُما

يفترقان في الشّدة والرّخاوة والاستطالة، ورُبّما كان تقارُبُ المَخْرَجَين هو ما سَهَّلَ إدغام الطّاء في الضّاد.

وكان مثال سيبويه: اضبط ضَرَمة = اضبطْرمة.

قال[٩٨]: «وقد تدغم الطّاء والتّاء والدّال في الضّاد؛ لأنّها اتّصلت بِمَخْرَج اللّام، وتطأطأت عن اللّام حتّى خَالَطت أُصول ما اللّام فَوْقَهُ مِنَ الأَسْنان، ولم تقع من الثنيّة موقع الطّاء؛ لانحرافها؛ لأنّك تضع للطّاء لِسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة، فلما قاربت الطّاء فيما ذَكَرْتُ لكَ أَدْغَمُوها فيها.. وذلك قولك: اضبضَّرَمَة...».

ودأب ابن يعيش على مخالفة غيره في وضع المثال فقال[٩٩]: «حُطْ ضّمانك».

٦ - إدغام الظّاء في الضّاد:

أسلفنا أنّ عدّة الجوامع ووثاقتها بين الحرفين وخصوصة العلاقة بينهما أوجبت إفراد رسائل قائمة برأسها لعلاج أمر الخلط بينهما في النُّطق والخَطّ، ووقوع الإدغام بينهما هنا هو أَوْجَبُ بقياس الأُولى.

ولا يزال مثال سيبويه[١٠٠] في «ضَرَمة» قال: احفظ ضَّرَمة، وصورته عنده بعد الإدغام احفضَّرَمة.

أمّا مثال الزمخشري وتابعه ابن يعيش فهو[١٠١] «احفظ ضَّأنك».

وجاء مثال ابن عقيل على نَسَق ما عند سيبويه مع تغيير الفِعْل[١٠٢]: عظ ضَّمَرَة.

٧ - إدغام اللاّم في الضّاد:

ذَكَرَ ابن يعيش أنّ «لام» «أل» تُدْغَم في حروف طرف اللّسان، وما اتّصل بطرفه، وإن كان مَخْرَجُها من غير طَرَف اللّسان، وَعَدَّ من ذلك ثلاثة عشر حرفاً[١٠٣]، منها أحد عشر[٤] حرفاً من طرف اللّسان. ثُمَّ ذَكَر أَنّ لامَ المعرفة تُدْغَم فيها، ولا يجوزُ ترك الإدغام لثلاثة أسباب[١٠٤]:

١ - المقاربة في المَخْرَج؛ لأنّها من حُروف طَرَف اللّسان.

٢ - كَثرة لام المعرفة في الكلام.

٣ - تَتَّصِل «أل» بالاسم اتّصال بعض حروفه؛ لأنّه لا يوقف عليها. قال: «فلهذا لَزم الإدغام فيها»[١٠٥].

وأفرد، العُلماء[١٠٦] لِلام «هل، بل» فصلًا في الإدغام، ثم ذكروا خلافاً في إدغامها وإظهارها عند ثمانية[١٠٧] أحرف من بينها الضّاد، وكان إدغام لام «بل» في الضّاد من مسائل الخِلاف.

ومن الأمثلة التي ذكروها لهذه الصورة من الإدغام[١٠٨]:

الضّياء، هل ضَرب، وصورتها بعد الإدغام: هَضَّرَب.

وذكر ابن عصفور[١٠٩] أنّ جواز البيان في مثل «هل ضرب» إنّما جاء من أنها لم يكثر استعمالها فيما أُدْغِمَت فيه ككثرة لام التعريف، وأنها ليست مع ما بعدها بمنزلة كلمة واحدة.

وسترى نصيب ذلك القول من الصّواب عند الاحتكام إلى القراءات القرآنية فيما يأتي.

وخلاصة القول ما يأتي:

يُدْغَم في الضّاد التاء، والثاء المثلثة، والدّال، والذّال، والطّاء، والظّاء، واللّام، وساقَ العُلماءُ أَمْثلة مَصنوعة لذلك لم يُتَكَلّم بها إلّا ما قَلّ، وذلك كان عند الزمخشري، فإنّ أمثلته وجُمله التي ذكرها مما هو مألوف في الاستعمال.

قال الزمخشري: «ويُدْغَم فيها [أي في الضّاد] ما يُدْغَم في الشّين إلّا الجيم»، وشَرَحَ هذا ابن يعيش فقال[١١٠]: «والذي يُدْغَم في الشّين ثمانية أحرف هي الطّاء والدّال والتّاء والظّاء والذّال والثّاء واللّام والجيم، وقد استثنى ههنا الجيم؛ لأنّ هذه الحروف من طرف اللّسان والثنايا، والضّاد من حافة اللّسان وجانب الأضراس، وفيها إطباق واستطالة تمتدُّ حتى تَتَّصل بهذه الحروف، فصارت مجاورة لها، فجاز إدغامهن فيها، وهي أقوى منهن وأوفر صوتاً، والإدغام إنّما هو في الأقوى...».

* * *